ظاهرة كراهية الإسلام: تحديات ومواجهات

د / سيد محمد كاظم خوانساري(*)

مقدمة:

ظاهرة كراهية الإسلام تشكل من دون شك تحديًا خطيرًا، ذا أبعاد مختلفة يواجهها العالم الإسلامى فى الزمن الراهن، والذى يتطلب تعاملاً منهجيًا ومدروسًا، يتصف بالحكمة والانسجام كضرورة ملحة لمواجهتها؛ وذلك بسبب الآثار السلبية الواسعة التى تتركها على حياة المسلمين.

ومما لا شك فيه أن الاهتمام بمواجهة ظاهرة كراهية الإسلام، وإدراج هذا الموضوع فى جدول أعمال الدورة السنوية لمجلس مجمع الفقه الإسلامى، جاء على أساس فهم حقيقة هذه الظاهرة، وإدراك أبعاد هذا التحدى، وضرورة مواجهة آثارها السلبية.

وفى مقالى هذا، والذى أعددته لإثراء الأدبيات والدراسات المتوفرة حول هذا الموضوع؛ ولطرحه فى الدورة الثامنة عشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامى، سأحاول تقديم إجابة على سؤال أساسى وهو: ما هى أبعاد ظاهرة كراهية الإسلام وآثارها وسبل مواجهتها؟

وللإجابة على هذا السؤال، قدمت خلال مقالتى تعريفًا عن ظاهرة كراهية الإسلام أولاً، ثم شرحت جذورها الفكرية والتاريخية فى العالم المعاصر؛ لأقدم بعد ذلك دراسة عن طبيعة هذه الظاهرة وأبعادها وآثارها المختلفة على البلدان الإسلامية والمسلمين فى العالم. وسأنهى مقالتى بطرح السبل الفاعلة الكفيلة لمواجهة هذه الظاهرة، آخذًا بنظر الاعتبار دور الدول الإسلامية والمنظمات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدنى للمسلمين فى العالم، بالإضافة إلى وسائل الإعلام، لأستخرج نتائج البحث فى ختامه.

(*) سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمندوب الدائم لدى منظمة المؤتمر الإسلامى - جدة.

تعريف ظاهرة كراهية الإسلام:

قبل البدء بالحديث عن ظاهرة كراهية الإسلام، من الضرورى بمكان أن نقدم تعريفًا شاملاً عنها، ورغم أنه لم يتم تقديم تعريف دقيق وشامل لظاهرة كراهية الإسلام إلى الآن، إلا أن بعض المحاولات بُذلت لطرح بعض الآراء فى هذا المجال.

وعلى سبيل المثال يطرح رونى مدتراست ١٩٩٧م فى تعريفه لهذه الظاهرة ثمانية عناصر، والتى لقيت قبولاً فى العالم، وخاصة لدى المركز الأوروبى لمراقبة العنصرية ومعاداة الأجنبى، وهى كما يلى:

١- يتميز الإسلام كقطب موحد بالركود والجمود ومقاومته ضد أى تغيير.

٢- يعتبر الإسلام نسيجًا فريدًا أو غريبًا لا يتحمل قيمًا مشتركة مع سائر الثقافات، ولا يتأثر بها ولا يؤثر عليها.

٣- يصوّر الإسلام مقابل الغرب، فى حالة من الدونية والوحشية وانعدام المنطق والبدائية، بل والاهتمام بالجنس.

٤- يُصوَّر الإسلام دينًا يعتمد على العنف والعدوان وكعامل تهديد ودعم للإرهاب وإثارة الصراع بين الحضارات.

٥- يطرح الإسلام كأيديولوجية سياسية يتم استخدامها للأغراض السياسية والعسكرية.

٦- وفى هذا الإطار ترفض جميع عمليات النقد الموجّهة من الجانب الإسلامى إلى الغرب من دون دراسة مضمونها.

٧- تاريخيًا وفى الدول غير الإسلامية، يستغل الإسلام كعامل للقيام بأعمال التمييز ضد المسلمين، وفصلهم عن سائر قطاعات المجتمع.

٨- يعتبر العداء ضد المسلمين أمرًا طبيعيًا وعاديًا.

وفى تعريف آخر، تعتبر ظاهرة كراهية الإسلام حالة عداء ضد الإسلام والثقافة

الإسلامية، ونظرة سلبية حاقدة، ومحاولة لإصدار أحكام مسبقة ضد كل ما ينتمى إلى الإسلام. وفى إطار هذا التعريف، تعد معاداة المسلمين -وهى ظاهرة عنصرية لمعاداة أبناء الأمة الإسلامية- أحد أشكال ظاهرة كراهية الإسلام.

وفى تعريف ثالث، تعتبر كراهية الإسلام ظاهرة لإصدار الأحكام المسبقة ضد المسلمين، وإبرازهم كأفراد لهم حالة شيطانية خبيثة عبر اتهامهم بارتكاب تصرفات سلبية عامة، كالعنف والإيذاء والاستفزاز والتمييز، ونبذهم بكلام سيىء فى وسائل الإعلام.

وكذلك يعتبر استفان شوارتز الأمريكى -وهو رئيس مؤسسة أبحاث عن الإسلام فى الولايات المتحدة- أن كراهية الإسلام إدانة للإسلام وتاريخه ككل، باعتباره دينًا متطرفًا، ووفقًا لتعريفه يشكل الإسلام معضلة للعالم، كما يدعى أن الصراعات فى المجتمعات الإسلامية ناتجة عن أفكارهم ليس إلا؛ ولذلك يتم شرعنة الحرب ضد المسلمين والعمل على تغيير المعتقدات الإسلامية.

والمكتوبى يعتبر كراهية الإسلام ظاهرة عنصرية مُوجَّهَة ضد الإسلام، تشمل مزيجًا من عناصر الحقد ضد الدين والتمييز الحادّ ضد أتباعه.

ويعتبر المجلس الأوروبى كراهية الإسلام حالة من الرعب أو الآراء التى تتضمن أحكامًا تم إصدارها مسبقًا بالنسبة للإسلام والمسلمين وما يتعلق بهم.

كما جاء فى تقرير نُشِر فى السنوات الأخيرة فى بريطانيا، أن كراهية الإسلام تمثل مبادرات تمييزية وعدائية وغوغائية ضد الإسلام والمسلمين.

ومن وجهة نظرى، إن كراهية الإسلام تتمثل فى جميع السياسات والخطط والقوانين والمبادرات، والأعمال المتعمدة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، على مستوى الحكومة والمجتمع والفرد، وخاصة فى الغرب، والتى تحاول أن تروّج لرؤى سلبية ضد الإسلام والمسلمين عبر التمييز، وإصدار الأحكام المسبقة، واتخاذ المواقف العدائية، وخاصة عبر تقديم صورة متصلبة غير إنسانية يملؤها العنف والمعاداة، ومعارضة كل أنواع التقدم عن التعاليم الإسلامية النيرة وممارسات المسلمين

وتصرفاتهم. والهدف النهائى لكل ذلك : إلقاء الرعب والخوف من الإسلام والمسلمين، وتوفير الأرضية نفسيًا فى المجتمعات الغربية، خاصة وسائر المجتمعات عامة، للقيام بأية مواجهة ضد الإسلام والمسلمين فى العالم.

وهذا التعريف يشمل عدة عناصر أساسية وهى:

١- أنه يشمل جميع السياسات والخطط والقوانين والمبادرات والأعمال، ولا ينحصر ببعض التصرفات التى تحصل فى فترة خاصة بما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

٢- التأكيد على التعمد فى تلك السياسات والخطط والقوانين والمبادرات والأعمال، وعلى هذا الأساس، تقدم ظاهرة كراهية الإسلام كخطة هادفة ومدروسة من حيث المبدأ، كما يتم اعتبار بعض الأحداث والأعمال غير المتعمدة استثناء عن الأصل.

٣- إضافة إلى ذلك، أن هذا التعريف يشمل جميع المستويات من الحكومة والمجتمع والفرد، ولا ينحصر بالسياسات الحكومية.

٤- إن السياسات والأعمال المذكورة لها منطلقات دينية تتعلق بالإسلام وأتباعه؛ لذلك فإنها تستهدف المسلمين، ليس بسبب لونهم وجنسيتهم ولغتهم فحسب، وإنما بسبب الديانة التى يعتنقونها فى أغلب الأحيان.

٥- إن التمييز وإصدار الأحكام المسبقة والعداوة من أهم مظاهر هذه السياسات والأعمال وفقًا لهذا التعريف.

٦- إن الهدف الأساس من هذه السياسات والأعمال: إشاعة أفكار سلبية ضد الإسلام والمسلمين، خاصة عبر تقديم صورة عدوانية وغير إنسانية تتعارض مع التقدم والازدهار عن التعاليم الإسلامية الزاهرة وأداء المسلمين.

٧- إن الهدف النهائى لكل هذه السياسات والأعمال، هو إيجاد حالة من الرعب من الإسلام المسلمين، وتوفير الأرضية فى المجتمعات الغربيةخاصة، ،فى سائر المجتمعات عامة، من أجل مواجهة الإسلام والمسلمين فى العالم.

وينبغى التنويه بأنه شتان بين كراهية الإسلام وعملية النقد العلمى والموضوعى، بعيداً عن اعتماد أحكام مسبقة للمعتقدات الإسلامية التى يقوم بها غير المسلمين. كما ينبغى الانتباه فى نفس الوقت إلى أن هذا الأسلوب المقبول يستغل كثيراً للتوصل إلى الأهداف الخبيثة فى إطار ظاهرة كراهية الإسلام، وخير نموذج على ذلك ما قام به المرتد سلمان رشدى من طرح اتهامات مسيئة علنًا للإسلام والنبى محمد ﷺ، الذى يشكل الشخصية الرئيسة فى هذه الديانة وذلك تحت غطاء النقد العلمى.

الجذور التاريخية والفكرية لظاهرة كراهية الإسلام فى العالم المعاصر:

يمكن لنا عبر تقييم التطورات التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب، أن نحدد أربع مراحل وهى: منذ البداية حتى القرن العشرين، ومنذ العقد الأول حتى الثامن من القرن العشرين، وعقد التسعينات حتى ٢٠٠١م، ومنذ ٢٠٠١م حتى الآن.

وفيما يتعلق بالأسباب والجذور التاريخية لهذه الظاهرة، يشير بعض الخبراء إلى الرسالة التى أرسلها البريطانى روجر بيكون إلى أحد آباء الكنيسة فى زمن الحروب الصليبية، يؤكد فيها على ضرورة إنهاء الحرب مشيراً إلى بدء الحروب الصليبية الثقافية فى العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامى. ويرى هؤلاء أن ظاهرة كراهية الإسلام هى استمرار لتطبيق تلك الاستراتيجية باستخدام الآليات والوسائل الحديثة. وفى نفس الوقت، يعتقد هؤلاء أن ظاهرة كراهية الإسلام ارتفعت وتيرتها فى النصف الثانى من القرن العشرين وخاصة فى نهاية هذا القرن، والسنين الأولى من القرن الحادى والعشرين.

والبعض يعتقد أن الأوروبيين كانوا دائمًا بصدد تصفية مجتمعاتهم، وإخلائها من الآخرين والأجانب؛ ولذلك نشاهد اليوم تحديد الحريات الأساسية، والإعلام المضاد ضد المسلمين، واعتبارهم متآمرين وذلك لأجل تخويف الأوروبيين.

ومهما كان الأمر يمكن القول من خلال دراسة تاريخية بأن ظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب وخاصة أوروبا لها جذورها وتجاربها التاريخية، إذ كانت الحرب

الصليبية الثقافية من استراتيجياتهم فى الصراع ضد الإسلام والمسلمين فى الفترات التاريخية المختلفة، ولقد استمرت الظاهرة خلال القرن العشرين إثر تصاعد نضال الشعوب الإسلامية المختلفة ضد المستعمرين الأوروبيين من جهة، والاضطهاد التاريخى للمسلمين من قبل أوروبا وأمريكا، خاصة فى زرع غدة إسرائيل السرطانية فى قلب العالم الإسلامى، واحتلال أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من جهة ثانية. ونظرًا لكثرة استخدام الغرب لوسائل الإعلام فى تطبيق سياساته ومبادراته ضد المسلمين، فإن الغربيين حاولوا دائمًا بأشكال مختلفة خلال الفترة المذكورة أن يقدموا صور متخلفة عن المجتمعات الإسلامية فى نقلهم للأخبار المتعلقة بالمسلمين، ويطرحوا صورة عنيفة غير إنسانية وبالية عن التعاليم الإسلامية، مما أدى -بعد مضى فترة من الزمن وبشكل تدريجى- إلى تكوين مواقف سلبية متجذرة ضد المسلمين.

وحول الأسباب والجذور التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام، يرى السيد كوفى أنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة أن هذه الظاهرة لها تاريخ يمتد عبر القرون،رغم أن مصطلح كراهية الإسلام طُرِح خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى، إذ أدرك الكثير من المسلمين اليوم أنهم كانوا قد تعرضوا دائمًا، وعلى مدى التاريخ، لأنواع الظلم والاضطهاد والاعتداء والاستعمار المباشر وغير المباشر وخرق حقوقهم، مشيرًا إلى بعض الحالات كالقضية الفلسطينية وقتل المسلمين وإبادتهم خلال عملية تقسيم يوغوسلافيا معتبرًا إياها مصاديق للتعامل الغربى غير العادل ضد المسلمين.

وتتضمن تصريحات السيد كوفى أنان -التى ذكرنا قسمًا منها- إشارة إلى أنه يعتقد بأن جذور كراهية الإسلام ينبغى البحث عنها فى الظلم التاريخى للغرب ضد المسلمين، ثم فى النظرة السلبية للمسلمين بالنسبة للغرب، وبعد ذلك أعمال العنف لبعض المسلمين المتطرفين ضد الغرب، وبالمقابل الجهود الغربية لمواجهة الإسلام والمسلمين.

ولهذه النظرية مؤيدوها، إذ يؤمن البعض -على سبيل المثال- أن هذه الظاهرة كانت من ثمار السياسات المنحازة والظالمة واللامتوازنة لأمريكا والغرب، فيما يتعلق بقضية فلسطين والشرق الأوسط، كما فى الدعايات المكثفة لوسائل الإعلام الغربية ضد المسلمين، واستغلال الغرب لشرعية مكافحة الإرهاب لتمرير أهدافه، وهذا ما شهدناه خلال العقود الأخيرة على الأقل. ومن المفيد فى هذا المجال الانتباه إلى آراء المشاركين فى إحدى الندوات السنوية، التى تقيمها مؤسسة الشرق الأوسط فى أمريكا، إذ يعتقد هؤلاء أن المبادرات الأمريكية التى تتم تحت شعار مكافحة الإرهاب، قد ولدت شعوراً بأنها حرب ضد الإسلام؛ لأن البعض أخذ يقدم صورة عن الإسلام تطرح هذا الدين العظيم كمصدر للإرهاب.

وربما يمكن اعتبار نظرية صموئيل هنتنجتون (١٩٩٣م) فى مجال صراع الحضارات عاملاً أساسيا، ومنعطفًا مهما فى ظاهرة كراهية الإسلام فى العصر الحديث. ففى رده على تساؤل حول إمكانية أن يفسر انتهاء الحرب الباردة كنهاية للصراعات السياسية والاستراتيجية والأيديولوجية، يقول هنتنجتون: "إن خطوط التصدع الموجودة بين الحضارات قد حلت محل الحدود السياسية والأيديولوجية فى فترة الحرب الباردة، وسوف تستبدل المواجهة بين الدول القومية بالصراع بين الحضارات، مُركِّزاً بشكل أساسى على الخلافات الثقافية والحضارية، ومشيراً إلى الانبعاث الحضارى والإحياء الدينى". ثم يتنبأ هنتنجتون أن أول مواجهة محتملة بين الحضارات ستكون بين الحضارتين الإسلامية والغربية، مشيراً إلى العداء المستمر بين الإسلام والغرب خلال أربعة عشر قرنًا، والتوتر المتصاعد بين الحضارتين.

ورغم أن السيد محمد خاتمى، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية السابق المحترم، رفض حتمية وقوع الصراع بين الحضارات، وذلك فى مبادرة حكيمة ودقيقة أطلقها عام ١٩٩٨م، وطرح -مشيراً إلى المسيرة التكاملية لتاريخ البشرية- ضرورة الارتباط والتعامل على أساس الفكر والتفاهم وحوار الحضارات، كحل وحيد لإزالة المخاوف ومواجهة التحديات فى عالمنا المعاصر، ورغم تبنى مشروعه عام ٢٠٠١ من

قبَل الأمم المتحدة، لكن ما حصل بعد ذلك من تطورات وأحداث فى إطار ظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب، أثبت أن الغرب يريد من وراء استمرار هذه الظاهرة تقديم صورة العدو الشرس عن العالم الإسلامى؛ ليضع الحضارة الإسلامية فى مكانة المعسكر الشرقى فى فترة الحرب الباردة. وما قاله الرئيس الأمريكى فى إحدى خطاباته بعد أحداث ١١ سبتمبر حول الحرب الصليبية، بالإضافة إلى تصريح برلسكونى رئيس الوزراء الإيطالى آنذاك حول "أن الغرب سيتغلب على المسلمين الذين لا يحترمون الحقوق الإنسانية والدينية والسياسية للأشخاص -وفق تعبيره- كما انتصر على الشيوعية"، كل ذلك يعكس بأفضل شكل ممكن الآراء والنوايا الحقيقية للساسة الغربيين حول الإسلام والمسلمين. وينبغى هنا إضافة بعض التصريحات المماثلة الأخرى فى أحاديث القادة الغربيين، كاستخدام عبارة "الفاشية الإسلامية" بواسطة جورج بوش.

وفى هذا الإطار أيضًا، لا بد أن نشير إلى التصعيد المتزايد فى محاولات وسائل الإعلام الأوروبية والكندية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين فى الفترات الأخيرة، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر. كما تشير التقارير إلى ازدياد أعمال العنف ضد المجتمعات الإسلامية فى هذه الدول خلال الفترة المذكورة، إلى جانب المبادرات المتعددة على مستوى الحكومات الفيدرالية والمحلية؛ لتحديد الحقوق والحريات الاجتماعية والدينية لأبناء الجاليات المسلمة، المقيمين فى هذه الدول، وخاصة فى فرنسا وألمانيا.

إن قراءة المبادرات والخطوات التى اتخذها الغرب-وخاصة أوروبا- فى هذا المجال، خلال السنوات الأخيرة، انطلاقًا من كيفية التعاطى مع موضوع انتشار الرسوم المسيئة لنبى الإسلام الأكرم ﷺ فى صحيفة يولندبستن الدانمركية، ومرورًا بوضع قوانين لتحديد حقوق المسلمين وحرياتهم الأساسية، وخاصة فى مجال الحريات الدينية فى بعض الدول الأوروبية، وانتهاء بتصويت جميع دول الاتحاد الأوروبى ضد القرار المقترح من منظمة المؤتمر الإسلامى حول منع الإساءة إلى الأديان فى الدورة

الواحدة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠١م، كل ذلك يدل على وجود سياسة وخطة محددة لدى الغرب فى هذا المجال. كما يدل على أن دول الاتحاد الأوروبى تقف بين المجتمعات الغربية فى الخط الأول لكراهية الإسلام.

ظاهرة كراهية الإسلام: طبيعتها، أبعادها، وآثارها:

فيما يخص طبيعة هذه الظاهرة فى العالم المعاصر، يرى بعض علماء الاجتماع أن التقييم والتمييز على أساس الدين حل محل التقييم والتمييز على أساس العنصر فى العقود الأخيرة، ونتيجة لذلك، يُعد المسلمون -خاصة فى الدول الأوروبية- غرباء، أو آخرين لا تختلف ثقافتهم عن الثقافة الأوروبية فحسب، بل وتتعارض معها. ورغم ذلك، فإن دراسة الأبعاد المختلفة لظاهرة كراهية الإسلام توصلنا إلى حقيقة وهى: أن هذه الظاهرة لها فى الأساس طابع سياسى وثقافى عدوانى هادف يتصف بالتعمُّد، وهو ذو أبعاد وآثار عديدة لا يمكن حصرها فى بعض التصرفات التى تحصل هنا وهناك، على أساس التمييز الدينى وإصدار الأحكام المغرضة حول دين ما، أو اتباع ذلك الدين؛ لذلك لابد قبل القيام بأية مبادرة فى سبيل التصدى لهذه الظاهرة أن تؤخذ بنظر الاعتبار طبيعتها وآثارها السياسية -الأمنية والثقافية- والاجتماعية.

ويبدو أن أول وأهم آثار هذه الظاهرة هو توفير الأرضية الملائمة فى الغرب؛ لاستعداء الدين الإسلامى وأتباعه، مما سيترك -لا محالة وبالضرورة- آثاره على العالم الإسلامى، وبالأحرى سيؤدى هذا التوجه إلى زيادة الحقد والاستياء بين الجانبين، دون أن يريدا ذلك، وهما: الإسلام الذى يبحث عن السلام والمسلمين الذين لا ينصبون العداء ولا يريدون محاربة أحد، ويريدون السعادة والتعايش مع جميع أبناء البشر من جهة، والشعوب الغربية التى لا علم لها بالسياسات المُخطَّط لها من قِبل قادتها وبمكائد وسائل إعلام بلدانها، لتستمر بالنتيجة حالة التشكيك فى النظر إلى تصرفات كل من الطرفين وأعمالهما ونواياهما. وهذا ما يُخطط له الساسة فى

الغرب: إرعاب الشعوب الغربية وتخويفهم من الإسلام ومن ثم من المسلمين، وتوفير الأرضية نفسيًا فى المجتمعات الغربية خاصة، وفى سائر المجتمعات عامة؛ للقيام بأية مواجهة للإسلام والمسلمين فى العالم.

ويبدو فى ظل هذه الظروف أن الغرب سيكون قادرًا على ممارسة أى ظلم أو اضطهاد ضد المسلمين بكل سهولة فى المستقبل، بذريعة أنهم منافسون وأعداء خطرون سياسيًا، بالإضافة إلى ذلك، سيتمكن الغرب من تطبيق هذه المبادرات دون معارضة جادة من الشعوب الغربية فى ظل هذه الظروف. إن هذه المبادرات ستكون لها أبعاد واسعة لتشمل حالات كثيرة، منها: سد الطريق أمام إمكانية اعتناق الإسلام بين مواطنى هذه الدول، والتى أخذت ترتفع حالاتها السياسية ضد المواطنين المسلمين والجاليات المسلمة فى تلك الدول، وممارسة شتى أنواع الضغوط، ووضع العوائق السياسية والاقتصادية، والقيام -فى أسوأ الحالات- باعتداءات ضد البلدان الإسلامية؛ وذلك فى سبيل حماية مصالح المعسكر الغربى.

كما أن رؤية شاملة لبعض المبادرات، التى قامت بها الدول الغربية فى مجالات مختلفة، كتغيير قوانين الهجرة والعمل والإقامة، تدل على حقيقة وهى أن الغرب سيستمر فى محاولاته للسيطرة على حركة الإيمان بالإسلام، بالإضافة إلى تحديد حقوق المواطنين المسلمين فيما إذا استمرت هذه الظروف، وسيقوم بشكل جاد بمنع استقبال المهاجرين والعمال والطلبة وسائر المجموعات المسلمة فى أوروبا، وإقامة المسلمين من غير الأوروبيين لفترات طويلة/ متوسطة المدى فى تلك المجتمعات، وعلى أية حال، فإنه من المؤكد أن أحد الأهداف الأساسية للغرب فى هذا الإطار، هو السيطرة الجادة على النمو السكانى للمسلمين، وتقليل تواجدهم ونفوذهم فى المجتمعات الغربية.

ومن جهة أخرى، ينبغى الانتباه إلى أن استمرار هذه الظاهرة أو تصعيدها على المدى البعيد، من شأنه -تدريجيًا وبالضرورة- أن يؤجج حالة المعاداة للغرب فى

العالم الإسلامي، ويؤسس لحالة متبادلة من الحقد والنفور في إصدار أحكام مسبقة بين كل من الشعوب الغربية والمسلمين، مما سيكون له -لا محالة- أبعاد ونتائج خطيرة للطرفين؛ لذلك يبدو أن التصدى لهذه الظاهرة على المستوى القريب والبعيد، سيؤمن مصالح المسلمين، وفي نفس الوقت، يبدو أن التصدى لهذه الظاهرة والوقوف أمام تصعيدها وتحولها إلى صراع بين الحضارات، سيكون له على المدى البعيد صالح العالم الغربي أيضًا، وإن كان على المدى القريب لا يصب في صالح الغربيين وفق رأى البعض منهم، الأمر الذى أخذ بعض العقلاء في الغرب يؤيدونه مؤخرًا.

سُبُل التصدى لظاهرة كراهية الإسلام:

لا شك في أن هذه الظاهرة ينبغي تقييمها كجزء من السياسات الغربية الشاملة، في مواجهة الإسلام والمسلمين والدول الإسلامية؛ ولذا يجب اتخاذ السُبُل الكفيلة للتصدى لها. كما ينبغي أن تتم عملية التصدى لهذه الظاهرة بعد القيام بتقييم دقيق لأبعادها المختلفة، والتهديدات الناتجة عنها، والتخطيط الشامل والواقعي، الذى يتم وفق المبادئ العلمية، باستخدام جميع الإمكانيات والآليات المتوفرة لدى المسلمين في العالم؛ وذلك من أجل إشراك واسع ومُؤثِّر لكل مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، والأفراد من المسلمين في أنحاء العالم كافة، كل حسب قدراته وجنبًا إلى جنب مع الحكومات والمنظمات الإسلامية الفوقومية.

وبالنسبة للآليات وأساليب التصدى لظاهرة كراهية الإسلام، ينبغي القول بأن القيام بمبادرات متنوعة في المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية والقانونية في آن واحد، يبدو أمرًا ضروريًا، بالإضافة إلى ذلك، يجب استخدام جميع الوسائل، وخاصة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية، واستثمار جميع الفرص خاصة في المحافل ومراكز القرار الإقليمية والدولية.

كما ينبغي الانتباه -في نفس الوقت- إلى أن أية مبادرة في هذا الإطار، لا بد أن نقوم بها على أساس فهم مشترك بين الحكومات الإسلامية وجميع أبناء الأمة

الإسلامية لحقيقة أن ظاهرة كراهية الإسلام ظاهرة خطيرة جدًا، تعُمّ أبعادها وآثارها الأمة الإسلامية كاملة، شئنا أم أبينا؛ ولذلك ينبغى الاهتمام الجاد بالتصدى لهذه الظاهرة، إذ على الأمة الإسلامية أن تنهض موحدة صفوفها للقيام بأعباء هذه المهمة.

وبناء على ذلك، ينبغى أن لا يتجاهل أى منا المصالح العامة والمشتركة للمسلمين، ولدار الإسلام فى عملية التصدى لهذه الظاهرة، ناهيك عن أن المسلمين يجب أن يمتنعوا عن أية مبادرة تمهد لسلطة غير المسلمين عليهم، وفقًا لقاعدة: نفى السبيل، وعلى البلدان الإسلامية أيضًا أن تعتبر أمن كل منها -وخاصة فى مجال الأمن الثقافى- أمن الجميع، وتؤكد على أن التهديدات المُحدقة بأية دولة إسلامية ستكون تهديداً لها ولجميع الدول الإسلامية، وتستعد بالنتيجة لتصد جماعى لهذه الظاهرة. فلو أدركنا أن الغرب بصدد تغيير ثقافة شعوبنا الإسلامية وتوحيدها ودمجها بالثقافة والقيم الغربية، إلى جانب ظاهرة كراهية الإسلام التى تمثل بدورها هجمة ثقافية شاملة ضد أمتنا الإسلامية.. لو أدركنا ذلك سنؤكد أكثر من ذى قبل على ضرورة التعاون الجماعى بين الدول الإسلامية؛ لإزالة وصد كل ما يمهّد لسيطرة غير المسلمين عليهم ، أو للتهديدات والتحديات والتحرش بمعتقداتنا وثقافتنا وأمن مجتمعاتنا وبلداننا الإسلامية.

إن ما يحظى بأهمية قصوى فى هذا المجال، هو: ضرورة اهتمام الأمة الإسلامية فى علاقاتها الثقافية والدينية بتقوية وتنمية العلاقات بمختلف بلدان دار الإسلام كأهم المعايير؛ ولذلك وفى نفس الإطار، سيكون تحديد الأولويات والاهتمام ببذل الجهود للتوصل إلى الوحدة بين الفِرق الإسلامية المتعددة، فى إطار تحقيق مفهوم "الأمة الإسلامية الواحدة" عمليًا وميدانيًا، وإعادة تنظيم عملية الاجتهاد القيّمة؛ لتقديم إجابات على المستجدات أو المسائل المستحدثة -وفق المصطلح الفقهى-، وإزالة الشبهات والشكوك السقيمة، وإعطاء تفسير قويم عن أحكام الإسلام النيِّرة المتقدمة، وإبراز السلوك البيِّن فى الاعتدال الإسلامى، والحيلولة دون وقوع المسلمين فى فخ المتصلبين أو أدعياء التنوير، سيكون ذلك كله من أهم الضرورات التى لا يمكن التخلى عنها.

كما أن إقامة العلاقات الثقافية والدينية مع أتباع سائر الأديان والثقافات، فى إطار السبل والآليات التى أوصت بها تعاليمنا الدينية، ومنها: التأكيد على التفاهم حول المشتركات، والجدال بالتى هى أحسن، وتأليف القلوب، والسعى لتعريف الآخر بالمعارف الإسلامية الصافية، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام، وتعزيز التفاهم المشترك بين الطرفين، له كله أهمية خاصة فى هذا المجال.

وعمومًا ومع الأخذ بنظر الاعتبار ما سلف ذكره، لابد من التأكيد على أن الهدف القريب من كل ذلك هو السعى والتخطيط لإيقاف تنامى ظاهرة كراهية الإسلام المتصاعدة، والهدف المتوسط هو التخفيف المؤثر من آثار الظاهرة المذكورة فى العالم، والهدف النهائى والبعيد هو إزالة جميع المصاديق والتمهيدات، التى تؤسس لظاهرة كراهية الإسلام. ويبدو أيضًا أن المبادرات التالية -بغض النظر عن أولوياتها- ينبغى أن تدرس وتؤخذ بنظر الاعتبار فى خطة التصدى لهذه الظاهرة على المديات القصيرة والمتوسطة والبعيدة:

١- تعزيز الإرادة السياسية المشتركة بين الدول الإسلامية؛ للتصدى لظاهرة كراهية الإسلام، والذى تم المصادقة والتأكيد عليه فى ثالث اجتماع طارىء للقمة الإسلامية المنعقد فى عام ٢٠٠٥ بمكة المكرمة.

٢- وضع استراتيجية على نطاق العالم الإسلامى؛ للتصدى لظاهرة كراهية الإسلام.

٣- تأسيس مركز للدراسات فى البلدان الإسلامية حول ظاهرة كراهية الإسلام؛ بغية التقيم الشامل لجميع أبعادها وتفاصيلها، ودعم عملية التصدى لها.

٤- عقد ندوات علمية منتظمة ودورية على الصُّعُد الوطنية والإقليمية والدولية، وذلك فى الدول الإسلامية وفى مختلف أنحاء العالم؛ لدراسة أبعاد هذه الظاهرة وآثارها وسُبُل مواجهتها، والعمل على نشر نتائج هذه الدراسات والندوات على نطاق واسع.

٥-التخطيط لدعم الآليات المتوفرة لتقديم المشورة، والتنسيق بين الحكومات

والمنظمات الإسلامية، واستخدامها الأفضل فى سبيل التصدى لظاهرة كراهية الإسلام، كتفعيل اللجنة التنفيذية لمنظمة المؤتمر الإسلامى فى هذا المجال، ودعم نشاطات مجموعة سفراء الدول الإسلامية فى كل من نيويورك وجنيف وباريس وفيينا وبروكسل.

٦- التخطيط لإيجاد آليات حديثة للتشاور والتنسيق بين الدول الإسلامية فى هذا المجال، كاستحداث آلية للتنسيق السريع بين المؤسسات الدينية فى الدول الإسلامية؛ بهدف اتخاذ موقف موضوعى موحد عند الضرورة.

٧- إيجاد آلية للتشاور والتنسيق بين جميع المنظمات غير الحكومية للمسلمين فى أنحاء العالم كافة؛ بهدف التصدى الفاعل لهذه الظاهرة، والعمل -على سبيل المثال- على جمع المعلومات وإقامة الندوات وإبراز ردود الفعل عند اللزوم، واتخاذ سائر الخطوات الممكنة.

٨- تقديم الدعم الكامل لمرصد ظاهرة كراهية الإسلام التابع لأمانة المؤتمر الإسلامى.

٩- بذل الجهود لممارسة رقابة شاملة من قبل البلدان الإسلامية والمنظمات الدولية والإقليمية، الحكومية وغير الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدنى للمسلمين فى أنحاء العالم كافة، وتزويد منظمة المؤتمر الإسلامى بالمعلومات الشاملة والموثّقة حول الموضوع.

١٠- وضع خطط من قِبَل منظمة المؤتمر الإسلامى؛ لنشر تقرير سنوى وفقًا للمعلومات التى تصلها عن آخر التطورات، المتعلقة بظاهرة كراهية الإسلام فى العالم.

١١- التخطيط للتنسيق والتشاور الضرورى؛ لإبراز ردود فعل مبدئية موحدة فى الوقت المناسب من قِبَل البلدان الإسلامية والمسلمين قبال كل خطوة ملحوظة تتخذ، فى إطار ظاهرة كراهية الإسلام فى العالم، وتقنين جميع ردود الفعل الجماهيرية والشعبية حتى الوصول إلى النتيجة المرجوّة.

١٢- العمل الجاد والفاعل من قِبل الدول الإسلامية؛ لاستصدار قرار بمنع الإساءة للأديان وظاهرة كراهية الإسلام فى الاجتماعات السنوية والدورية للمنظمات والمحافل الدولية ذات الصلة، كالجمعية العامة، ولجنة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو.

١٣- وضع خطط من قِبل منظمة المؤتمر الإسلامى؛ لإقامة علاقات واسعة ومنسقة مع المؤسسات الشهيرة المُعتَرف بها للمسلمين فى الدول غير الإسلامية؛ لتوظيف طاقاتها وإمكاناتها فى هذا المجال، وخاصة فى رصد جميع الأحداث التى ترتبط بظاهرة كراهية الإسلام.

١٤- العمل على إجراء حوار مستمر فى هذا المجال مع المنظمات الدولية، وخاصة المؤسسات والآليات الأوروبية؛ لطرح المخاوف الموجودة فى هذا الإطار، والتذكير بالأبعاد المدمرة لهذه الظاهرة، وآثارها على العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية، والتأكيد على ضرورة التعاون المتبادل للتصدى لها.

١٥- السعى لإدراج هذا الموضوع فى جدول أعمال الاجتماعات المشتركة لمنظمة المؤتمر الإسلامى مع سائر المنظمات الدولية، كالأمم المتحدة.

١٦- العمل على إيجاد ارتباط مستمر وفاعل مع المقررين الخاصين للآليات الإقليمية والدولية لحقوق الإنسان، كالمقررين فى مجال الحريات الدينية، وظاهرة كراهية الإسلام، والعنصرية والتمييز العنصرى؛ لجلب انتباههم أكثر فأكثر بالنسبة للأبعاد المتعددة لهذه الظاهرة، لإبرازها وتقديم تقارير مناسبة عنها.

١٧- الاهتمام بالجهود المشتركة بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى؛ لتوقيع وثيقة دولية ملزمة لمنع الإساءة للأديان.

١٨- قيام الدول الإسلامية بالتخطيط لإعداد وإقرار وثيقة قانونية دولية تخص إزالة التمييز على أساس الدين.

١٩- القيام بعمل مشترك بين الدول الإسلامية، فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى؛ لإقناع الدول الغربية للمصادقة على قوانين داخلية (وطنية) لمنع الإساءة للأديان، وكذلك منع التمييز على أساس الدين، وللتصدى لهذه الظاهرة.

٢٠- التأكيد -فى آن واحد- على حق حرية التعبير من جهة، ومسئولية الحكومات والمنظمات الدولية والوطنية والأفراد فى استخدام هذا الحق لاتخاذ موقف مشترك فى مواجهة حالات الإساءة للقيم والمقدسات الإسلامية من جهة أخرى، والعمل على تحويل هذه المسئولية إلى مبدأ من المبادىء الدولية المُعتَرَف بها، وإدخاله فى الأدبيات والوثائق الدولية ذات الصلة.

٢١- التوظيف التام والكامل لجميع الطاقات المتوفرة لدى المؤسسات والآليات التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى، عبر إقامة اجتماعات سنوية مشتركة للمؤسسات ذات الصلة والتابعة للمنظمة؛ لدراسة آخر التطورات فى ظاهرة كراهية الإسلام، وتنسيق الخطوات والفعاليات الخاصة بها فى مجال التصدى لهذه الظاهرة.

٢٢- اتخاذ خطوات أكثر فاعلية من قِبل مجمع الفقه الإسلامى؛ لمعالجة هذا الوضع، ومنها: تنمية التعاون بين المؤسسات الدينية فى العالم الإسلامى، للتصدى لظاهرة كراهية الإسلام.

٢٣- ضرورة الاهتمام الخاص بهذه الظاهرة وأبعادها المختلفة، من قبل آليات إيصال المعلومات فى منظمة المؤتمر الإسلامى، كالوكالة الإسلامية الدولية (إينا) ومنظمة الإذاعات للدول الإسلامية (إيسبو)، والعمل على توعية الشعوب بمختلف قضايا وأبعاد هذه الظاهرة.

٢٤- العمل على نشر نصوص الأبحاث النظرية حول الموضوع، بواسطة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ومركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا).

٢٥- إعطاء القروض والمنح المالية بواسطة البنك الإسلامى للتنمية لبعض المؤسسات

الرسمية التابعة للمسلمين؛ لتفعيل طاقاتها، بغية مراقبة ظاهرة كراهية الإسلام في الدول غير الإسلامية، ورفع تقارير دورية عنها.

٢٦- إدراج موضوع التصدى لظاهرة كراهية الإسلام كأحد البنود الثابتة في جدول أعمال الدورات العادية للمؤتمرات الإسلامية، على مستوى القمة ووزراء الخارجية.

٢٧- وضع الخطط اللازمة من أجل التنسيق بين وسائل الإعلام للدول الإسلامية، والمسلمين في جميع أنحاء العالم؛ للنهوض بأداء دور فاعل في هذا المجال.

٢٨- العمل على توظيف كافة الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية في التصدى لهذه الظاهرة.

٢٩- القيام بحركة واسعة في نشر المعلومات عن الإسلام والمسلمين باللغات الغربية وخاصة عبر الإنترنت والفضائيات.

٣٠- التخطيط لشرح المبادىء والمعتقدات والأحكام الإسلامية بأسلوب علمي، وقابل للفهم للمواطن الغربي؛ لتصحيح صورة الإسلام عنده.

خاتمة البحث والنتيجة:

إن ظاهرة كراهية الإسلام، والتى تشمل جميع الأفعال والتصرفات المتعمدة لإشاعة أفكار سلبية حول الإسلام والمسلمين، تعد من دون شك تحدّ خطير ومتعدد الأبعاد للعالم الإسلامى فى الوقت الحاضر؛ ولذلك فإن التصدى لها بالحكمة، وتوحيد المواقف، يعد ضرورة ملحة لا يمكن تجاهلها؛ نظراً للآثار السلبية الواسعة التى تتركها هذه الظاهرة على حياة المسلمين.

وعبر دراسة التطورات التاريخية لظاهرة كراهية الإسلام فى الغرب، يتضح استمرار هذه الظاهرة خلال القرون الماضية، إذ يعبر البعض عنها بالحروب الصليبية الثقافية، لكنه ورغم ذلك نلاحظ أن ظاهرة كراهية الإسلام ارتفعت ونيرتها بشكل تصاعدى فى النصف الثانى من القرن العشرين، وخاصة فى نهايته، وفى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، وهذا ينذر بوجود علائم لأبعاد خطيرة من ظاهرة كراهية الإسلام فى التاريخ المعاصر.

وبالنسبة لخصائص هذه الظاهرة فى العالم المعاصر، يرى علماء الاجتماع أن التقييم والتمييز على أساس الدين قد حل محل التمييز العنصرى فى العقود الأخيرة، لكن ظاهرة كراهية الإسلام تتميز أساسًا بطابعها السياسى والثقافى العدائى الهادف والمتعمَّد، ومن أول نتائجها ازدياد الحالة المتبادلة من الحِقد والبغضاء، وإصدار الأحكام المسبقة بين الشعوب الغربية والمسلمين.

لذلك لا بد من التصدى لهذه الظاهرة، التى يجب لحاظها فى إطار السياسات الغربية العامة، وهذه العملية لا تتم إلا بتوظيف جميع الإمكانات والآليات المتوفرة لدى المسلمين فى أنحاء العالم كافة؛ ليتسنى إشراك جميع مؤسسات المجتمع المدنية والمنظمات غير الحكومية، والأشخاص المسلمين فى أنحاء المعمورة، فى هذه العملية بشكل فاعل وكل حسب إمكاناته وطاقاته، وجنبًا إلى جنب مع الحكومات والمنظمات الإسلامية الدولية.

ويبدو أن القيام بخطوات متعددة فى المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية والقانونية، من الأمور الضرورية فى هذا الإطار، بالإضافة إلى ذلك، ينبغى استخدام جميع الآليات وخاصة وسائل الإعلام بأشكالها، واستثمار كل الفُرص وخاصة فى المحافل ومراكز القرار الإقليمية والدولية؛ للحيلولة دون التصعيد المتزايد لظاهرة كراهية الإسلام، وتخفيف وتيرتها، وإزالة جميع مصاديقها والعوامل المهدة لها فى النهاية.

وفى هذا الإطار، ينبغى الاهتمام باتخاذ بعض الخطوات، ومنها: إعداد استراتيجية التصدى لهذه الظاهرة، وعقد ندوات علمية لدراسة أبعادها وآثارها وسُبُل مواجهتها، ووضع الآليات للتشاور والتنسيق بين جميع المنظمات غير الحكومية للمسلمين فى أنحاء العالم كافة، من أجل التعاطى الجاد مع هذه القضية، وتقديم أكبر دعم ممكن لمرصد ظاهرة كراهية الإسلام التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى، والعمل الإسلامى المشترك لإبرام وثيقة دولية قانونية؛ لإزالة التمييز على أساس الدين، وتفعيل نشاطات مجمع الفقه الإسلامى فى هذا المجال، والتأكيد فى آن واحد على حق حرية التعبير، ومسئولية الحكومات والمنظمات الدولية والوطنية والأشخاص عند استخدامهم هذا الحق، وضرورة اتخاذهم موقفًا موحدًا فى التصدى لحالات الإساءة للقيم والمقدسات الإسلامية، وإيجاد التنسيق بين وسائل الإعلام للدول الإسلامية والمسلمين فى أنحاء العالم كافة؛ للتخطيط لأداء دور أكثر فاعلية فى هذا المجال، والعمل على استخدام كل الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية فى مواجهة هذه الظاهرة، والنشر الأوسع للمعلومات حول الإسلام والمسلمين باللغات الغربية؛ لبيان المبادىء والمعتقدات والأحكام الإسلامية، بأسلوب علمى بحت وقابل للفهم عند المواطن الغربى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊